34

الفاجومى

الطريق إلى كمشيش

- قضيت شهرين راقد فى مستشفى المبره بمصر القديمه.
- خطبت «نعمه» أخت مرات واحد زارنى بدون سابق معرفه.
- فى كمشيش فوجئنا بأن وصولنا عمل زوبعه من ردود الفعل المتباينه.

■■■

obeikan.com

obeikan.com

حوالى شهـرين قضيتـهم راقد فى مستـشفى المبره بمصر القـديمه فى كنف ورعايه الدكتور رزق عبد المسيح اللى هجم ع البيت فى منتصف ذات ليله واختطفنى بعد ما تدهورت صحتى نتيجه للإهمال والضغط العصـبى المستمر واحتجزنى فى المستشفى للعلاج بالقـوه!- إذا لزم الأمر- لأن قرحـة المعده اللى ظهرت أعـراضها بشـده بعد حفله الصحفيين التانيه كانت بدأت تنزف وأنا لغاية دلوقتى مندهش إزاى وصل خبر مرضى للدكتور رزق!

المهم الشهرين دول حصلت فيهم حاجات كتيره..

فى المستشـفى اتعرفت على الدكتور رزق عـبد المسيح الشيـوعى القديم المحبط- بعد قـرار القيادات بحل جـميع التنظيمـات السريه والعمل من خـلال تنظيم الاتحاد الاشتراكى.

ومن خلال رزق عرفت إن الإحباط زى اللون مـتعدد الدرجات وردود الأفعال.. لأن رزق اللى حرمه قرار الحل من العمل الجمـاعى قدر يحافظ على التوازن النفسى بداخله واسـتمر يمارس العطاء مـن خلال مهنتـه كطبيب بشكل أدهـشنى.. كان أول طبيب يدخل المسـتشفى صـباحًا وآخر طبـيب يخرج من المستـشفى مسـاءً وكان بينه وبين مرضاه علاقه شـديدة الحميميه (إذا جاز التعبـير) كانوا طول الليل يتكلموا عن رزق وكان لما مريض يتـعب فى العنبر بالليل ما يرضـاش يخلى حد يسعفـه لغاية ما ييجى الدكتور رزق الصبح!

الأهم من كده علاقته بالممرضين والتمرجيه..

كان بيـمرع العنبر يوم الجـمعه ساعـة الزياره وأثناء فحصـه لمريض شفت تمرجى بياخد فلوس من الـزوار.. غمزته.. ضحك وغمـزنى يعنى- شايف!- اندهشت من رد فعله. وفى مكتبه سألته:

– إنت شفت اللى حصل؟

قال لى:

أيوه

قلت له:

– وسبته ليه؟

قال لى:

– لأن أنا اللى قايل لهم يعملوا كدة!!

قلت له وأنا مذهول:

– إنت بتقسم معاهم بقى؟!

ضحك وقال لى:

– مش للدرجه دى... المسأله إنه حيسرق حيسرق.. مش لأنه غاوى يسرق لكن لأن مرتبه ما بيغطيش احتياجاته فأنا اتفقت معاهم يبعدوا عن أدوية وغذاءالمرضى وينموا مواردهم من نفحات الزوار اللى حولوها إلى نوع من القرده! بمرور الوقت.

أيضًا كان فيه طبيب زميل لرزق فى الإحباط اسمه الدكتور عبد المنعم عبيد ودا كان حاطط همه في القرايه.. كان كل يوم ييجى يشنف أسماعى بالقرايه فى مسرحيه الشرقاوى الحسين ثائرا وشهيداً.

وعرفت كمان الدكتور صالح طبيب أمراض النساء العبثى خفيف الظل اللى كان دايمًا يقول لى:

– أنا مش فاهم ليه إنت واجع قلبك بالسياسه؟! إنت راجل فنان والسياسه دى مهنه ما فيهاش أى فن.. دى مهنه الكذابين وقتالين القتلا!

مهنة الغايه تبرر الوسيله.

الراجل ده كان عاشق لمهنته وفضل يلح علىَّ عشان أحضر معاه عمليه ولاده

يمكن ربنا يهـديني وأكتب اللحظه دى.. لحظه مـيلاد الحيـاه اللى هى فى رأيه.. أروع لحظات الحياه.

عرفت كمان جـلال.. جه زارنى ومعاه نعمه بدون سابـق معرفه.. ارتحت لزيارته وحسـيت إنه من بقيـه أهلى. وتطورت علاقتـنا وخطبت نعمه أخت مـراته اللى هو مربيها هى واخواتها.

جانى كـمان بدون سابق معـرفه تلاته زوار حبيـبقى لهم تأثير بعد كده فى حـياتى وهم - الدكتور على الجنجيهى- سعيد عبد المعطى- طلعت السنجابى.

وبعد خروجى من المستشفى اكتشفت مـجموعه من التغيرات طرأت على الشيخ إمام ومـحمد على.. أولاً بدأ فؤاد قـاعود يحضر كـل الحفلات العامـه اللى بيحييـها الشيخ إمام كمتـفرج! أنا شفته فى حفله كلية الحقوق بجـامعه اسكندريه بعد ما ألح علىّ طلعت السنجابى إنى اعـتبرت ده مبادره مشكـوره من فؤاد على طريق إعاده لم الشمل.

التـغير الـتانى كـان مزعج بالنسـبه لى لكن مـا كانش مـخوفنى واتعـاملت مـعاه باستهانه شديده مش عارف ليه لغاية دلوقت؟

فى يوم خروجى من المستشفى لقيت شخـص لبلابى بيدعى إنه شاعر وبينتهز أى فرصـه عشان يـأكد دعواه مـثلاً فى استـشهـاد چيفارا كـتب مطرزه فى رثاء الشهـيد والمطرزات نوع من القصـائد بيبدأ كل بيت منهـا بحرف من اسم الشخص المقـصود بالقصيده حسب ترتيب الحروف فمثلاً الأخ ده كان كاتب فى چيفارا:

ج- الجيم جلد

ى- والياء يا سلام على دا ولد

القصد أنا لا ح اكمل القصيده ولا ح أقول اسم المتشاعر اللبلابى لأن دا شرف ما يستحـقهوش (هو فقط معـضوض فى شفته عـضه رجالى واللى عضـه قرص عليه فشرمه دا كل اللى أقدر أقوله عنه).

لقيت الشخص ده قاعد مع الشيخ إمـام وجايب له كلام يلحنه على طريقه شفيق جـلال وياريت الكلام دا بتـاعـه..لأ.. دا كـان جـايب قـصـايد لابن الفـارض وابن الفارض عندى له مكان جليل ما يقلش عن المتنبى وبيرم التونسى.

لكن ما أظنش إن المتشـاعر الأشرم كان جايب كلامـه للشيخ إمام يلحنه من باب مجاملتى أو مشاركتى الإعجاب بسلطان العاشقين عمر بن الفارض.

إذن الجماعه مصممين على خطف الشيخ إمـام وإعادة اكتشافه. وأنا مصمم على عدم تسليمـه لهم قبل تفريغه تمامًـا من منجم الموسيقى اللي جواه وبعـد كده ياخدوه مبروك عليهم.

وزى ماتقـول إن زهرى كان مطقطق عليـهم وحظى كان راكـبهم وكـان الإيقاع السريع للأحداث فى تلك الأيام بيلعب لصالحي.

فبـعد حادثه المتـشاعر الـلبلابى الأشرم بسـاعات جانى الدكـتور على الجنجـيهى ومعاه مدحت مقلد واتفـقوا معانا على السفر صباح باكر إلى كمـشيش لإحياء حفل ذكرى استشهاد صلاح حسين.

وكان التـرتيب إن إحنا نروح الميعاد ع العنوان سـألنا البواب عن الأستـاذ مدحت مقلد فقـال لنا نزل الساعه تمانيـه سافر على كمشـيش وفوجئت بأسارير الـشيخ إمام بتهلل وهو بيقول:

- أحسن.. بركه يا جامع.

بنتلفت عشان نرجع لقينا فى وشنا الدكتور على الجنجيهى!!

قلت له:

- إنت هنا بتعمل إيه؟

قال لى:

- أنا جاى آخدكم على كمشيش.

ركبنا عـربيه بالنفر من موقف أحـمد حلمى إلى كمـشيش وفي الطريق حكى لى الدكتور على الموضوع (همسًا بناء على طلبى).

إمبـارح عرف شعـراوى جمعـه بموضوع دعوتنا إلى كـمشيش عن طريق شـاعر مخبر فسأل شاهنده أرملة الشهيد صلاح حسين:

- إنتى صحيح عازمه نجم وإمام؟

قالت له:

- أيوه.

قال لها:

- مافيش داعى ولازم تسحبى الدعوه.

قالت له:

- ليه؟

قال لها:

- لأنهم.. لأنهم حشاشين.

قالت له:

- أ نا مش ح أقدم لهم حشيش.

وانتهى الموضوع عند هذا الحـد إمبارح.. لكن النهادره ما حـدش عارف الموضوع وصل لفين؟

.. وصلنا كمـشيش فـفوجئنا بأن وصـولنا عمل زوبعـه من ردو الفعل المتـباينه.. الطلبه اللى كانوا فـى الاحتفال قابلونا بعـاصفه من التصفـيق والهتاف وترديد بعض أغانينا وممثلو الحكومـه قابلونا بالتجهم والارتبـاك الشديد لدرجة إنى سـمعت واحد

بيقول:

- إيه اللى جاب دول؟

شاهنده فـقط هى اللى جت استقبـلتنا ورحبت بينا بينما اخـتفى الجميع بما فـيهم مـدحت.. لكن حـيـروح منى فين؟ سبت إمـام ودخـلت أدورّ عليـه لقـيت - لحش عريض القفـا أحمر الخدين ومكرش زى اللى فى شهرها السـابع ولابس هدوم بيضا مشلبنه يشـرب من عليها العصفـور ومشتبك مع مـدحت- المرتبك- فى جدل عنيف انتهى بأن قال اللحش لمدحت:

- دول لا يمكن يطلعوا ع المنصه.. التعليمات بتقول كده!

سألت يطلع مين اللحش ده؟ قـالولى دا أمين الفلاحين. أنا تصورت أن ده اسـمه أتارى دى وظيفه.. أمين الفلاحين!

قلت له:

- يا أستاذ أمين.. يا أخى عيب داحنا ضيوفكم.. وانتو اللى داعيينا.

قال لى:

- أ نا أعرفك منين يا جدع إنت؟ إبعد عنى ما تودنيش فى داهيه.

قلت له:

- طب وحياة أمك لطالع ع المنصه وابقى تعالى نزلنى.

وظاطت الحكايه وأوشك الحـفل ع البوظان لولا إن مـدحت مقلد طلع ع المـنصه ومسك الميكروفون وحيا سفير كوبا لحضوره الحفل وقال:

- وبمناسبه تشريف السـيد السفير فيه واحد فنان عامل أغنيـه عن چيفارا وحيطلع يقولها!!!!

ووطى على ودنى وقال لى:

- إعمل معروف چيفارا بس.

قلت له:

- ماتخافش.

ورحنا طالعين قايلين حرب الشعب وبعدين قلنا چيفارا مات.. وقلت للناس:

- إحنا حنغنى فى الغيط.. اللى عايز يسمع ييجى ورانا.

ونزلنا من ع المسرح ورانا اكتر من نص اللى فى الحفله وقادنا أحد الفلاحين إلى قاعه واسعه فى البيت قعدنا فيها واتلموا الناس حوالينا وهاتك يا غنا. يقوم ولاد الزوانى يبعتوا ورانا غفر بعصيان يضربوا الناس بحجه تنظيم القعده!

شديت العصايه من واحد منهم قلت له:

- إنت مين قال لأمك تنظم؟.. عارف لو مديت إيدك على حد؟ ح اكسر العصايه دى على دماغك.

كان قاعد جنبنا- على كرسى طبعًا- تلاته ضباط مباحث.. بصيت لهم وضحكت فقال لى واحد منهم:

- إحنا تجار جلود.

قلت له:

- جلود بشريه طبعًا.

بصوا لبعض وضحكوا.

وانتهت حفله كمشيش بعد تصعيد المواجهه وبدأت أستعد لرد فعل السلطه بمزيج من الخوف والفرح.. الخوف كشعور إنسانى غريزى من بطش السلطان والفرح بانتصارى عليهم فى معركه الاحتفاظ بالشيخ إمام.

●●●

الكلام اللى اتكتب فينا واللى اتقال عنا يملا قفف.. لكن أذكى الكلام كان اللى كتبه الأستاذ محمود السعدنى فى مجله صباح الخير تحت عنوان- أغانى هذا الرجل-

أنا مش ح أناقش رأيه فى الشيخ إمام لكن اللى يهـمنى هو رأيه فى كلام الأغانى قال مـا معـناه إن الكلمـات تتناول أوجـاع الناس بأسلوب لاذع بينمـا شـعراء المـؤسسـه يكتبون عن هجر احبيب وسهر الليالى وعد النجوم فى عز الضهر.

أما اللواء الطبيب الأستاذ محمد عبد الوهاب موسيقار الأجيال فقال فى صوت العرب لما سألوه:

- سمعت الشيخ إمام؟

قال:

- أنا ماليش دعوه بالكلام!!

وراح قـايل رأيه فى صـوت الشـيخ إمـام وبكده يبـقى سـيادتـه ارتكب خطأ فنى جسيم لأنه افترض وجود أغنيه مافيهاش كلام.

عـرفت بقى ليه الأسـتاذ رجـاء النقاش كـان مـسمى البـرنامج "مع ألحان الشـيخ إمام"؟

■■■